أما هذا فقد نذر إذا فتح الهند أن يذهب قبر الامام (ع). وكذلك لقد أمر عام ١١٥٥ ه بقلع الحجر القاشانى عن القبة المقدسة والمأذنتين والايوان وتذهيبها، وبذل أموالا عظيمة تقام بالتذهيب أكثر من مائتى صائغ ونحاس قد تجمعهم من سائر أقطار الأرض وفيهم الصينى والهندى والتركى والفارسى والعربى وقد طليت كل آجرة بمثقالين من الذهب الخالص على ما ذكر بعض الصاغة الذين تولوا إصلاح القبة أخيراً

الجانب الشمالى من جامع النجف الأشرف وفيه مظاهرة إسلامية

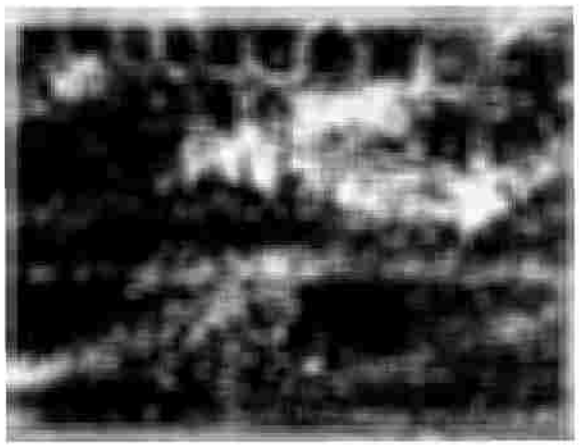

« وقد وضع فى خزانة القبر الشريف تحفا جسيمة مما استلبه من ذخائر ملوك الهند، هذا فضلا عما أهدى إليها غيره من الملوك والأمراء المسلمين، ففيها من الجوهرات والنفائس مالا يثمن، وإن الأحجار الكريمة لا تعد ولا تحصى. أما القناديل الذهبية المرصعة والسجاد الفاخر الموشى بالذهب والستائر المنتظمة فيها الجواهر، الأمور التي تمر على — الملوك فهى أعلاق ونفائس تبهر العقول ولا يصدق اجتماعها فى أعظم الكنوز

وإن بداعة الفن فى البناية تبهر الأنظار وتخلب الأفكار بزخرفها وطلائها. وقد قال رحالة مصرى: (وقبة القبر ومئذنتاه تكسى بالذهب الخالص فى بريق خاطف. جزت الباب إلى الفناء السماوى المربع تطل عليه الحجرات المتجاورة ثم دخلت باب الضريح، وأنى لقلمى الكليل أن يصف إبداعه من نقوش وتطعيم بالذهب والفضة وزخرف بالبلور والزجاج والقيشانى ما فاق فيه جميع المساجد الأخرى) وإن هذه الحجرات كانت مساكن لطلبة العلم قبل أن تشاد المدارس الحديثة

وعسانا نعود لدراسة النواحى الأخرى الهمة من جامع النجف الأشرف وحياته العلمية والأدبية

« العراق — النجف الاشرف » **ضياء الدين الدخيلي**

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفـــــالوذج

للأستاذ محمد شوقى أمين

— ٢ —

صلاحية معجزة نبى. أخلاطه. شهرة النشا به. زعفرته. زينته اللوزية. لونه. أكان يؤكل حاراً. وصفه بالترجرج. رقة جوانبه. أكان يؤتدم به.

وكما تمنى ذلك العربى، فى ظرف وتملُّح، أن تكون صفة الفالوذج آية من الآى، وتنزيلا فى التنزيل، بل موضع سجدة، ومحراب ضراعة؛ إغلاء بالوصف، وإعلاء لكلمة الموصوف: ترجّى أخ له من بعد أن يكون الفالوذج معجزة نبوة، وبرهان رسالة، فانه فى حساب هذا العربى الفكه، لجدير أن تهفو إليه القلوب، وتجتمع عليه الارادات؛ وما هى إلا أن يؤمن الناس بمن يجىء بالفالوذج من عند الله: دليل إيماء، ومظهر إعجاز... فقد ذكر أبو هلال[1] أن أعرابيًا سئل عن رأيه فى الفالوذج، فقال: والله لو أن موسى أتى فرعون بفالوذج لآمن به، ولكنه أتاه بعصاه!

— ٣ —

وأخلاط هذه الحلواء: لباب البر، ورضاب النحل، وخالص السمن[2] وكان يضاف إلى هذه الأخلاط: النشا. ولعله لباب البر نفسه قال الأصمعى: النشا: شىء يعمل به الفالوذ[3]، فانظر: كيف يذكر النشا بالفالوذج، وكيف صارت نسبته إليه تعريفاً به؟! وإنما جاء ذلك من بعد صيت الفالوذج، وذيوع صفته، ولن يُعرّف شىء بآخر، حتى يكون الآخر أوسع شهرة، وأندى صوتاً...

وكان الزعفران كذلك من أدوات الفالوذج، فقد وصف رجل طعاماً أكله عند بعض الناس، فقال:[4] أتانا بأرُزّة ملبونة، فى الطبرزد مدفونة، وفالوذجة مزعفرة مسمونة. ولا أوتى:

(١) ديوان المعانى (الاول — ٢٩٨)
(٢) عيون الاخبار (الثالث — ٢٠٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢١)
(٤) خاص الخاص (٤٤)

أكان يجعل فيه أم كان يصبغ به ؟ فان الكلام يحتمل أن تكون الزعفرة فيه التلوين ، إلا أنه بجعل الزعفران فيه أولى ، وبسياق الجملة أشكل . ففى الجملة : الملبونة وهى التى فيها اللبن ، والمسمونة وهى التى فيها السمن . وقد يكون للزعفران فى الفالوذج عملان معاً ، فهو مادة فيه ، وهو صبغة له وطيب

ومما يؤيد أن الفالوذج كان يصبغ بالزعفران ، وأن هذه الصبغة كانت من علامات التجوّد فيه ، وحسن الصنعة له ؛ ما يؤثر من أن الكراريسى[1] دعا أبا الحسن بن طباطبا ، وقرب إليه مائدة ، فخرج أبو الحسن ينظم قصيدة يذم فيها ما قدم له الكراريسى من ألوان الطعام ، ويسمى كل واحد منها باسم يعيبه به ، ويزرى عليه ؛ وكان مما أنكر من تلك الألوان الفالوذجة ، لأنها كانت قليلة الزعفران والحلاوة ؛ فسماها : صابونية ، وبيتها فى القصيدة :

وجام صابونية بعـــدها فافخر بها إذ كانت الخاتمه

فلما بلغ الكراريسى شعر أبي الحسن ، وعلم أنه فى معشر يقتدرون أكله ، ويتنقلون بذمه ، حلف لا يُدخل أبا الحسن ولا أحداً من أصحابه داره ، ولا يحضرهم طعامه !

وقد اتخذت للفالوذج فوق ذلك زينة مجلوبة ، تمدّ منظره بالبهاء والرونق ، وتزيد فى طعمه اللذاذة والسواغ ، وهى : اللوز المقشور . فكان ينضد أنصافا فى جوانبه كاللؤلؤ ، أو ينثر كالنوّار . فلما تواصف الأدباء هذه الحلواء المعجبة ، تناولوا زينتها بالتشبيه الجميل . فقد نسب الحصرى إلى أهل عصره جملة منثورة فى وصفه هى : « كأن اللوز فيه كواكب در فى سماء عقيق[2] »

ولون الفالوذج كما يدل عليه ظاهر الصفة فيما سبق من النوادر : الحمرة ، إذ كان العقيق أحمر تشبه به الأشياء فى الاحمرار ؛ غير أنه قيل لأعرابى : أتعرف الفالوذج ؟ قال : نعم أصفر رعديد[3] ! ومفاد قولة الأعرابى الصفرة ، على أنه قد يكون المراد منها : لون الورس والزعفران[4] فانه قيل فيهما : الأصفران. والورس : نبت يضرب من الاحمرار إلى الاصفرار[1] ورعْياً لهذا يسوغ لنا أن نقول : إن لون الفالوذج هو ما يكون بين الحمرة والصفرة ضارباً إلى هذه وإلى تلك ؛ فهو اللون الورسى الزعفرانى المقارب للعقيق ، المشبه إياه فى التوهج والبريق !

ولهذا شبهوا الفالوذج فيما وصفوه ، بالشمس وهى متضيفة للغروب ، حائلة اللون ، بين الصفرة والحمرة ؛ وقد ذكر الثعالبى[2] أبياتاً لأبى الحسن المشوق الشامى يصف جام فالوذج ، منها :

فقد اغتدت فى جامها وكأنها شمس على بدر أوان المغرب
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف درّ فوق صحن مُذهب

ويجمل ألا نغفل هنا أن العقيق ليس مقصوراً على النوع الأحمر المتعارف ، فمنه أصفر وأبيض[3] ، وربما كان الواصف فى الكلمة التى نقلها الحصرى أراد بالعقيق النوع الأصفر منه ، إلا أننى لا أجد فى نفسى ميلاً إلى وفاق هذا التخريج على سلامته ، فالنوع الأحمر من العقيق هو مضرب المثل ، وهدف الوصف ، وهو مصرف الذهن إذا أطلق فلم يقيد بنوع خاص من أنواعه المختلفات .

ويشد عضد هذا أن الكلمة المنثورة التى نقلها الحصرى تروى شطر بيت فى قطعة للسرى الرفاء ، بعث بها إلى أبى بكر الخالدى ، يصف جام الفالوذج ويشير إلى أن أبا بكر يقبل هذه الحلواء رشوة يتحاز بها إلى أحد الخصمين فى الأقضية ، قال السرى : [4]

إذا شئت أن تجتاح حقا بباطل وتفرق خصما كان غير غريق
فسائل أبا بكر تجد منه سالكا إلى ظلمات الجهل كل طريق
ولا طفه بالشهد المخلّق وجهه وإن كان بالإلطاف غير حقيق
بأحمر مبيض الزجاج كأنه رداء عروس مشرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان يلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز فى جنباته كواكب لاحت فى سماء عقيق

فقوله : أحمر ، وقوله كذلك : لون حريق ، وما تقدم من أن الزعفرة من عملها التلوين ، يمنع كل المنع أن يكون المقصود من العقيق النوع الأصفر ؛ ما من ذلك بُدّ !

(١) ديوان المعانى (الاول — ٢٩٨)
(٢) زهر الآداب (الثانى — ٧)
(٣) معيار اللغة (رعد)
(٤) المعيار (صفر)

(١) لسان العرب وغيره
(٢) اليتيمة (الاول — ٢٥٢)
(٣) تاج العروس (عقق)
(٤) اليتيمة (الثانى — ١٦٤)

والسرى قد جعل المقطع من أبياته تضمينا لبيت لأبى بكر الخالدى المهجو ، فانه يروى له قوله يصف الخمر لا الفالوذج :[1]

كأن حباب الكأس فى جنباتها كواكب در فى سماء عقيق

وفى الحسبان أن العرب كانوا يأكلون هذه الحلواء مثلوجة باردة ، إذ كانت كذلك تؤكل لعهدنا هذا . ولكن الجاحظ نقل طرفة واضحة الافصاح بأنها حارة ، وأنها كانت تقدم على هذه الصفة . أو أن منها ما كان يؤكل حاراً ، فليست تثبت القصة إلا أن الفالوذج قدم مرة لآكليه يزفر أنفاسه الحرار . قال أبو كعب[2] : كنا عند عياش بن القاسم ، ومعنا سيفويه القاص ، فأتينا بفالوذجة حارة ، فابتلع سيفويه منها لقمة ، فغشى عليه من شدة حرها . فلما أفاق ، قال : مات لى ثلاثة بنين ما دخل جوفى عليهم من الحرقة ما دخل جوفى من حرقة هذه اللقمة !

فلو صح أن الفالوذج كان لا يقدم إلا حارا فيؤكل فائرا لوجب تخريج ما سلف من قول السرى الرفاء : « له فى الحشا بردالوصال وطيبه » فيكون الوصف بالبرودة لغير حس الفالوذج ، وإنما هو لمناه وأثر الالتذاذ به . وإذاً يجرى الكلام على أن للفالوذج فى النفس من اللذة والمناءة ، ما للوصال من برد فى الصدر وثلج ، وهو تخريج بديه ، لا تأباه طبيعة البيان ولا يمس التشبيه بتشويه

وكانت هذه الحلواء هنية الريق ، لينة المُزْدَرَد[3] . وهى كذلك غريضة هفهافة الأعطاف ، تستجيب للداعى بالغمزة الخفيفة ؛ ويمثل ذلك بصفها صاغة الكلام ، ويشهونها إلى الأفواه . فقد سمع الثعالبى صديقه الخوارزمى يقول فى وصف طعام قدمه إليه بعض أصحابه : جاءنا بشواء رشراش ، وفالوذج رجراج[4]

وقد تكون بعض جوانب الفالوذج فى الجامات والصحاف أرق من بعض ، فيكون ما رق منها أغبط عند الناس مما غلُظ ، وأولى بالايثار والتكرمة . حدث الجاحظ عن نفسه قال[5] : كنت على مائدة محمد بن عبد الملك ، فقدمت فالوذجة ، فأومأ بأن يجعل ما رق منها على الجام مما يلينى ، تولُّعاً بى ، فتناولت منه ، وظهر بياض الجام بين يدى ، فقال محمد بن عبد الملك : يا أبا عثمان قد تقشعت سماؤك قبل سماء غيرك ؛ فقلت : أصلحك الله لأن غيمها كان رقيقاً !

وما كنت أفهم حتى الساعة إلا أن الفالوذج كان يؤكل وحده ، لا كالطعام يكون إداماً للخبز ، فهو حلواء ، والحلواء مكتفية بنفسها أبداً ، وهو يحوى مادة الخبز كذلك فى جوهره ، فان لباب القمح رأس من رؤوس أخلاطه التى يسوّى بها . ولكن أبا العلاء[1] فى بعض تقوله اللذوية قرن الفالوذج بضرب من ضروب الخبز ، فأدى إلينا الشك والتظنّى ، ولا سيما أنه يعزو ذلك إلى خلف الأحمر ، ويجل الطرفة التى نقلها المعرى أن خلفاً أنشد البيتين :

ألمَّ بصحبتى ، وهمُ هجوع خيال طارق من أم حِصْن
لها ما تشتهى : عسلاً مصفى إذا شاءت وحُوّارَى بسَمْن

ثم قال لأصحابه : لو كان موضع أم حصن : أم حفص ، ما كان يقول فى البيت الثانى ؟ فسكتوا ، فقال : وحوارى بلمص ، واللمص : الفالوذج ، والحوّارى خبز يكون من لباب البر ، وهو السميد . وقد تابع المعرىُّ خلفا الأحمر فى تغيير قافية البيت الأول بأسماء النساء ، وتغيير قافية البيت الثانى بأشتات من ألوان الإدام ، وأصبغة الطعام ، وتعبير هذ فى غير تريبٍ أن الفالوذج كان يؤتدم به مع السميد أو غيره مما يختبز ، أو أنه كان يؤكل تارة وحده ، ويؤكل مع الخبز تارة أخرى

« للبحث صلة » محمد شوقى أمين

---

(١) اليتيمة (الثانى — ١٦٦)
(٢) البيان والتبيين (الثانى ١٥٨)
(٣) عيون الاخبار (الثالث ٢٠٣)
(٤) فقه اللغة (٣٩٦) (٥) خاص الخاص (٤٥)

(٤) خاص الخاص ٤٥
(١) رسالة الغفران ١٤

اقرأوا الديوان الخالد

« هكذا أغنى »

للشاعر الفذ محمود حسن إسماعيل

ديوان الطبيعة ، والفن ، والجمال

ظهر حديثا — ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى
وسائر المكاتب الشهيرة بمصر والأقطار العربية
ومن صاحبه بادارة الشئون العامة بوزارة المعارف
الثمن ١٠ قروش — وللجملة أسعار خاصة